الفصل الخامس
ابراهيم في رومية:
ابا لليهود و الامم في حسبان البر

لماذا يستحضر بولس الرسول شخص وقصة ابراهيم من صفحات كتاب التكوين الاصحاحات ١٥ و١٧ الى صفحات رسالته الى رومية الاصحاح الرابع؟ ما الذي يبغيه من عملية الاستحضار هذه؟ وهل يحقق اهدافه؟ هذه الاسئلة وغيرها هي محط اهتمامنا في هذه المحاضرة، وللاجابة عليها لا بد من فهم منطق جدل بولس في رسالته الى اهل رومية الى حين استحضاره لشخص وقصة ابراهيم. لكن قبل الدخول في ذلك لا بد من بعض الملاحظات العامة حول الرسالة والاسباب الكامنة وراء كتابتها.

ملاحظات عامة

ينص بولس اطروحة رسالته في ١:١٦-١٧ قائلا:

"لاني لست استحي بانجيل المسيح لانه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن لليهودي اولا ثم لليوناني. لان فيه معلن بر الله بايمان لايمان كما هو مكتوب اما البار فبالايمان يحيا."(١)

رسالة رومية هي دفاع عن هذه الاطروحة. عقيدة التبرير بالايمان، والتي يتساوى فيها اليهودي واليوناني، هي صلب هذه الاطروحة وتشكل احد الاسس المهمة للانجيل الذي بشر به بولس. فهو بحاجة للدفاع عنها واستعراضها لاسيما وانه مزمع على الذهاب الى اسبانيا مرورا بروما بعدما انتهى من عمله في الشرق (١٥:٢٤)، آملا ان تكون كنيسة رومية داعمة له ومركزا لعمله التبشيري في الغرب. فلا بد من إطلاع

(١) كل الشواهد الكتابية مأخوذة من الترجمة العربية للبستاني – فاندايك

الكنيسة هناك بتفاصيل انجيله خصوصا وان الازمة الغلاطية والمواقف الحادة التي اتخذها بولس في الرسالة الى الغلاطيين قد، على الارجح، وصلت اصدائها ليس الى رومية فحسب بل الى اورشليم ايضا. مما لا شك فيه ان هذه الازمة قد كونت الانطباع، وذلك بسبب اصرار بولس على عقيدة التبرير بالايمان لليهودي والامي، وكأنه قد فرّط بالشريعة، وتاريخ الخلاص الذي بدأ مع الآباء واولوية اسرائيل في هذا التاريخ. لذا فمن الضروري ان يقدم دفاعا واضحا عارضا فيه موقف انجيله من هذه الامور بشكل منظم وفي اجواء اكثر هدوءا من تلك التي كانت سائدة في غلاطية.

زد على ذلك رحلته المرتقبة الى اوروشليم لتسليم اللّمة، وما لهذه اللمة من معان مهمة لبولس: اذ هي تعبير رمزي للقصد الالهي في ان يكون شعب الله من امم ويهود واحدا موحدا متساوٍ في واجباته. لذا يطلب الرسول من الكنيسة في رومية ان تجاهد معه في الصلاة الى الله من اجله (١٥:٣٠). فالصلاة والجهاد معه هما اليقين ان انجيله قد قُبل لديهم وهذا ما يرجوه عشية ذهابه الى اوروشليم. ففي هذه الرسالة يحضر بولس نفسه للحوار والجدال المرتقب في اوروشليم، وبالتالي رومية هي رد مسبق لما يتوقعه بولس في اوروشليم.

بولس يأمل ايضا ان يكون استعراضه ودفاعه عن عقيدة التبرير بالايمان مدخلا لمعالجة المشكلة الناشئة في كنيسة رومية بين ما يسميهم "الضعفاء" و"الاقوياء" (أنظر رومية ١٤-١٥).

سياق الاصحاح الرابع من رومية

الاصحاح الرابع من رومية، اصحاح ابراهيم، هو جزء من نص وجدل متماسك يبدأ في ١:١٨ (اي مباشرة بعد اطروحة الرسالة) وينتهي في ٤:٢٥ (اي نهاية اصحاح ابراهيم).

الجدل المُحكّم بعد الاطروحة يتوضح جزء من اهدافه في ٣:٩ حين يقول: "مماذا اذا. اننحن (اليهود) افضل (من الامم). كلا البتة. لأننا قد شهدنا ان اليهود و اليونانيين اجمعين تحت الخطيئة." اذا جدل بولس من ١:١٨ وحتى ٣:٩ هو اتهام ومقاضات لليهودي والامي بانهم يعيشون تحت الخطيئة. هذا الاتهام يُتبعه بولس بسلسلة من

الشواهد الكتابية (٣: ١٠–١٨) هدفها تثبيت اتهامه ان الكل متساو في العيش تحت الخطيئة وما من احد بار.

ان كان التبرير بالايمان امكانية يتساوى فيها اليهودي والامي، فلا بد من ان يكون الاتهام متساوٍ اذا الكل تحت الخطيئة. وهذا بدوره يحتم ان يكون المقياس للاتهام والمقاضات متساوٍ. وهذا بالفعل ما يفعله بولس عندما يؤكد ان اليهودي يعيش تحت الشريعة الموسوية والامي تحت شريعة القلب.(٢: ١٥) وكلاهما متهمان بالمقياس ذاته بالعيش تحت الخطيئة، وذلك لأن دور الشريعة الاساسي هو معرفة الخطيئة (٣: ٢١).

من الضروري ان يشدد الرسول على هذا الدور للشريعة (اي معرفة الخطيئة) وهو ربما ليس بجديد (انظر تثنية ٣١: ٢٤). فالازمة الغلاطية، وما رافقها من تعارض في وجهات النظر حول الشريعة بينه وبين الغلاطيين اللذين انصاعوا وراء تيار يهودي مسيحي متشدد لا تزال اصدائها تدور في أُفق فكر الرسول وحاضرة في جدل الرسالة الى رومية.

James Dunn ، والذي يتبع E.P. Sanders في صوغه للعبارة (Nomism Covenantal) "العهد الشريعي"[٢]، يرى في هذا التعبير دلالة على المفهوم الذاتي لليهودي، او بدقة اكثر لفهم العلاقة بين الله وشعبه اسرائيل. احد الاسس المهمة لفهم اليهودي لذاته وهويته كان اليقين ان الله قطع عهدا مع الاباء اهم ميزاته كان اختيار اسرائيل كشعب مختار ومميز له، ثم اعطى الشريعة كحزء متمم ومُكمِل للعهد يعيش شعب اسرائيل العهد في ظلها.

حسب Dunn، هذا الفهم للهوية اليهودية افرز ذهنية تتضمن شعورا قويا بالتميز والتفوق اليهودي على باقي الشعوب. هذه الذهنية ساهمت مساهمة مباشرة في تدّعيم الهوية الاثنية لشعب الله وتعزيز ضرورة الانعزال والانفصال عن باقي الامم. الكتابات اليهودية بين العهدين تشير بوضوح الى هذه الذهنية والتي برزت فترة المكابيين.

---

(٢) J.D.Dunn, "The Theology of Galatians: The Issue of Covenantal Nomism," *in Pauline Theology*, edited by Janette Bassler (Philadelphia: Fortress Press, 1977) v.1, 126-127. E.P Sanders, *Paul. and Palestianian Judaism* (Philadelphia: Fortress Press, 1991) .75, 420.

ففي الوقت الذي كتب فيه بولس كان الختان وممارسة فرائض الطعام، بالاضافة الى حفظ يوم السبت والاحتفال بالاعياد، كلها تكون الهوية والعلامات المميزة لليهودية. هوية اسرائيل كشعب الله باتت تحددها اعمال الشريعة. فأضحى دور الشريعة دورا اجتماعيا (سوسيولوجيا)[٣]. هذه الذهنية شكلت الخلفية للمشكلة في غلاطية والتي حاول بولس نسف اسسها في رسالته الحادة.

المهم هنا هو التالي: اذا كان هدف الشريعة ودورها معرفة الخطيئة فمن غير الممكن للشريعة واعمال الشريعة ان يكوّنا المكونات الاساسية للهوية اليهودية الاثنية التي تميزهم عن باقي الشعوب. ان مساوات بولس بين اليهودي والامي تحت الخطيئة بمقاضات واتهام الشريعة، وتشديده على دور الشريعة في معرفة الخطيئة، ما هو إلا عملية منظمة هدفها تجريد اليهودي من اي امتيازات يمكن ان يستنتجها جراء عمله باعمال الشريعة. هوية شعب الله لا تكمن في اثنية معينة ولا هي نتاج اعمال الشريعة: "لا باعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر امامه" (٣: ٢٠أ). فبعدما جرد اليهودي من اي امتيازات في عيشه تحت الشريعة، نجد بولس الآن يفكك اي ارتباط بين الشريعة و حياة البر. حياة البر تأتي من خارج الشريعة ومن دونها: "اما الآن فان بر الله (البر الذي يبرر) قد أُعلِن من دون الناموس مشهودا له من الناموس والانبياء"(٣: ٢١) بر الله الذي يبرر هو "بالايمان بيسوع المسيح الى الكل و على كل اللذين يؤمنون لأنه لا فرق اذ الجميع اخطاوا واعوزهم مجد الله" (٣: ٢٢).

بامكان الشريعة ان تُشخِص المرض ولكن العلاج يأتي من خارجها. البر هو امكانية محصورة في نعمة الله المجانية بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة للمغفرة (٤: ٢٤–٢٥). الثقة والايمان بذلك هو الذي ينشيء البر. لا مكانة اذا لأي افتخار يهودي. لكن هجوم بولس لم ينته بعد. فبعدما جرد اليهودي من كل امتياز يهاجمه في ما تبقى في ذهنه من شعور بامتيازه عن باقي الشعوب وذلك في فهمه لله كإله حصري لليهود. هذا ما ينفيه بولس عندما يقول: "ام الله لليهود فقط. أليس للامم ايضا. لأن الله واحد وهو الذي سيبرر الختان بالايمان والغرلة بالايمان" (٣: ٢٩–٣٠). اذا كان الله واحد وهو خالق للجميع من ختان وغرلة، فهو يتوقع تجاوب واحد موحد ومتساو من

(٣) أنظر. J. Dunn, "Theology of Galatians", 128

خليقته. تجاوب المخلوق المتكل على الخالق هو واحد: الايمان. اذا كان الامر كذلك فإن اي افتخار يهودي او احساس بالتميز هو مخالف لوحدانية الله وربوبيته على كل الخلق.

هل هذا الايمان، وما احدثه من تجريد لليهودي من كل امتياز بالاخص من امتلاكه للشريعة، يعني ان الايمان هو ابطال للناموس (الشريعة)؟ حاشا يقول بولس: فالايمان يثبّت الناموس (٣:٣١). اصحاح ابراهيم ما هو إلا توضيح جزئي لِتثبّيت الناموس.

باختصار: في ١:١٨ – ٣:٣١، وبالاخص ٣: ٢٧–٣١، نشهد جدلاً منظماً يعرض فيه بولس عقيدة التبرير بالايمان والتي يتساوى فيها اليهودي بالاممي. معظم استعراضه لهذه العقيدة يتم من خلال اعتراضه على، ومعارضته لذهنية يهودية محددة يصل فيها الى حد تجريد اليهودي من اي امتيازات ووضعه على قدم المساوات مع الاممي. هذا ما تحتمه عليه عقيدة التبرير بالايمان.

ابراهيم في رومية

ان استحضار ابراهيم، الاب الاول لكل ما هو يهودي، يجب فهمه ضمن السياق الذي عرضته. قصة ابراهيم تؤكد امران مهمان لما قاله بولس سابقا. الاول هو ان قصة ابراهيم، كونها من كتاب التكوين وهي بالتالي جزء من الناموس (اي الكتاب)، هي اثبات ان الايمان لا يُبطل بل يُثبّت الناموس. كون ان ابراهيم تبرر بالايمان فهذا تأكيد وتوثيق كتابي للعقيدة البولسية. بولس يُثبّت الناموس لان الناموس يثّبِت حقيقة انجيله وعقيدته. الامر الثاني هو ان قصة ابراهيم تؤكد وتشهد ان بر الله الذي ظهر بدون الناموس (بدون اعمال الشريعة) مشهود له من الناموس (الكتاب) والانبياء[٤].

لكن برأيي دخول ابراهيم في سياق جدل كان هدفه تجريد اليهودي من امتيازاته له بعد آخر. بولس يريد ان يحرم اليهودي من التلطي خلف شخص ابراهيم كون انه يعتبره ابا له في الجسد وهو من ذريته وبالتالي هو جدير بامتيازات ابيه.

---

(٤) بولس يستخدم نفس الكلمة Nomos للدلالة على امرين: الاول بما معناه الكتاب المقدس (Graphe) كما هي الحال في ٣:٣١، و الثاني بما معناه الشريعة كناموس خلقي ادبي وعبادي (٣:٢٠).

هذا واضح من خلال السؤال الذي يفتتح به اصحاحه عن ابراهيم سائلا: ماذا نقول؟ هل وجدنا ابراهيم ابانا حسب الجسد؟ (٤:١). هذا سؤال بياني وبلاغي والجواب عليه هو سلبي بالتأكيد، كما هي الحال في الامكنة التي يبدأها بولس بعبارة ti oun eroumen (٣:٥؛ ٦:١؛ ٧:٧؛ ٩:١٤)[٥].

في اعادة تعريفه لهوية اليهودي يُنكِر بولس على اليهودي ابوة ابراهيم حسب الجسد. لكن لماذا ابوة ابراهيم حسب الجسد امر يجب ادراجه اولا والايجابة عليه؟ الجواب هو في قناعة بولس ان اليهودية، في فهمها الحقيقي لذاتها و بشهادة كتاباتها المقدسة، تنشيء علاقتها بابراهيم ليس على اساس النسب الجسدي لابراهيم (Sarka Kata) انما على اساس المشاركة في ثقة ابراهيم بالله الذي اعطيت له الوعود.

في تحصينه لجدله هذا، يحبك الرسول نصين كتابيين: الاول من التكوين ١٥:٦ "فآمن ابراهم بالله فحسب له برا" (٤:٣) والثاني من مزمور ٣٢: ١–٢ في قول داود "طوبى للانسان الذي يحسب له الله برا بدون اعمال ... (٤: ٦–٨). الهدف من هذا الحيك هو ان الكتاب يؤكد و يشهد لعقيدة التبرير بالايمان وان حسبان البر غير مرتبط بالاعمال.

الهوية اليهودية الحق التي تقف في خطى ابراهيم هي هوية ثقة وايمان بالله وليست مرتكزة على النسب الجسدي لابراهيم. ما يقوله بولس في

رومية٩: ٦–٨أ يؤكد ذلك: "لان ليس جميع اللذين من اسرائيل هم اسرائيليون ولا لانهم من نسل ابراهيم هم جميعا اولاد. بل باسحاق يدعى لك نسل. اي ليس اولاد الجسد هم اولاد الله بل اولاد الموعد يحسبون نسلا".

---

(٥) لهذه الترجمة انظر

R.B. Hays, "'Have we Found Abraham to Be Our Forefather According to the Flesh?' A Reconsideration of Rom. 4:1," *Novum Testamentum* 27 (1985)76-98, 78-80; Stanley Stowers, the Diatribe and Paul's Letter to the Romans (Chico: Scholars Press, 1981) 133-137; Michael Cranford, "Abraham in Romans 4," *New Testament Studies*, 41 (1995) 71-88.

العيش في خطى ابراهيم يحتم ان يكون هذا العيش متطابقا مع الاسس التي بدأ فيها ابراهيم رحلته مع الله. الهوية اليهودية التي ترى جذورها بابراهيم يجب ان تعي انه منذ البدء علاقة ابراهيم بالله كانت علاقة ثقة وايمان. فمن ادعى ذرية ابراهيم يجب ان يكون بانسجام مع بدايات ابراهيم. كل من آمن ووثق كما آمن ووثق ابراهيم بامكانه اعتبار ابراهيم اباً له.

في ٤:٩ يسأل بولس عن التطويبات في قول داود: "فهذا التطويب هو على الختان ام فقط على الغرلة ايضا؟ لاننا نقول انه حسب لابراهيم الايمان برا" مستهشدا بتكوين ١٥: ٦. في هذا القول ينتقل بولس الى مكان آخر في جدله. اهتمامه الان لم يعد مركزا على كيف حسب ابراهيم بارا انما متى حسب ابراهيم بارا. هل كان ذلك قبل او بعد ختانه؟ الجواب هو انه حُسب بارا قبل ختانه. الهدف من هذا الانتقال هو واضح وجلي. بولس يريد ان يؤسس ابوة ابراهيم بطريقة تضمن للامي ان يرى في ابراهيم اباً. الحقيقة ان ابراهيم قد تبرر عندما كان لا يزال في الغرلة لها اهمية رمزية. فالامم اللذين لا يزالوا في الغرلة ويثقون بالله كما وثق ابراهيم بامكانهم الالتصاق به كذرية له واعتباره اباً ايضا لهم بالايمان. البركات التي اعلنت له تنطبق ليس عليه فقط بل على كل ذريته ايضا.

بولس لا يقلل من اهمية ختان ابراهيم انما يشدد على ان ختانه كان علامة ختم لبر الايمان الذي حسب عندما كان ابراهيم في الغرلة[٦]. لماذا؟ "ليكون ابا لجميع اللذين يؤمنون وهم في الغرلة كي يحسب لهم ايضا البر. وابا للختان للذين ليسوا من الختان فقط بل ايضا يسلكون في خطوات ايمان ابينا ابراهيم الذي كان وهو في الغرلة" (٤: ١١-١٢).

بولس لا يقلل من اهمية ختان ابراهيم لأن اهل الختان اللذين يسلكون في خطوات ايمانه يجدون فيه ابا. ولكنه بالوقت ذاته يشدد على ان ابراهيم آمن فحسب له برا وهو لا يزال في الغرلة لكي يجد اللذين يؤمنون وهم في الغرلة في ابراهيم ابا لهم. فكل من

(٦) هناك شواهد في كتابات ما بين العهدين على ان ختان ابراهيم كان تحقيق مسبق لمجيء الشريعة. الختان لعب دوراً اساسياً في ربط ابراهيم بالشريعة وبالتالي ارتبط بره ارتباطاً وثيقاً بالختان (أي اعمال الشريعة). انظر ابن سيراخ ٤٤: ٢٠-٢١ وباروخ الثاني ٥٧: ١-٢ ويوبيليات ٢٤: ١١.

آمن، ان غرلة او ختان، يجد في ابراهيم ابا. ابراهيم اباً ليس بحسب الجسد بل بحسب الايمان. ابراهيم اذا شخصية متضمنة، شاملة يجتمع فيها اليهودي والامي وتؤسس للهوية الحقيقية لشعب الله.

فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء لكي يصير ابا لامم كثيرة ولهذا حسب له برا. رغم كبر سنه وعقم امرأته آمن بالله متيقنا ان ما وعد به هو قادر ان يفعله. ايمان ابراهيم بالله الذي يحيي الاموات ويدعو الاشياء الغير موجودة كأنها موجودة هو الذي يؤسس للتماثل بين ابراهيم والمسيحي الذي يؤمن بان الله اقام يسوع من الاموات. والموضوع هنا ليس ما آمن به ابراهيم بل ايمان ابراهيم الذي حسبه الله له برا.

كيف يُحسب البر هو ما يتوخاه بولس من قصة ابراهيم. فابراهيم آمن وحسب له برا. هذه المعادلة مهمة. هي معادلة يؤسس فيها بولس لنمط كتابي يقتدي به اليهودي والامي الآن لما فعله الله بيسوع المسيح. وهذا ما يقصده عندما يقول "ولكن لم يكتب من اجله وحده انه حسب له بل من اجلنا ايضا" (٤: ٢٢-٢٤أ).

الوعد لابراهيم "اني جعلتك ابا لامم كثيرة" فد تحقق بايمان المسيحي – من يهود وامم وعلى نفس الاسس التي اعطي فيها الوعد لابراهيم (بالايمان) وهذا الايمان ما يحسبه الله برا.

خلاصة

لماذا يستحضر بولس شخص وقصة ابراهيم الى رسالته الى اهل رومية وما الدور الذي يلعبانه؟ الجواب هو ان شخص وقصة ابراهيم، وبالتحديد ايمانه الذي حسب برا، يؤكدان ويثّبتان انجيل بولس وعقيدة التبرير بالنعمة من خلال الايمان وليس من خلال اعمال الشريعة والتي يتساوى فيها اليهودي والامي. هكذا كان حسبان البر منذ البدء و لم يتغير. كل ما تغير هو محتوى الايمان. ابراهيم هو ابٌ لليهودي والامي بكيفية حسبان ايمانه برا. هذه هي ابوة ابراهيم وهذه هي هوية شعب الله.

د. جوني عوّاد
كليّة اللاهوت للشرق الأدنى

المراجع

- Beker, J.C., *Paul The Apostle: The Triumph of God in Life and Thought* (Philadelphia: Fortress Press, 1980.
- Cranford, Michael, «Abraham in Romans 4,» *New Testament Studies* 41 (1995) 71-88.
- Dunn, D.J., «The Theology of Galatians: The Issue of Covenantal Nomism,: *in Pauline Theology*. Edited by Jouette Bassler (Philadelphia: Fortress Press,1991), Vol. 1, 125-146.
- Dunn, D.J., *Romans.* Word Biblical Commentary 38A and 38B (Dallas: Word, 1988) 2 Volumes.
- Fitzmyer, Joseph, *Romans*: *A New Translation and Commentary*. The Anchor Bible 34 (New York: Doubleday, 1992).
- Kasemann, E., «The Faith of Abraham in Romans 4,» *Perspectives on Paul* (Philadelphia: Fortress Press, 1971) 79-101.
- Hays B. Richard, «Have We Found Abraham to Be Our Forefather According to the Flesh?' A Reconsideration of Rom. 4:1» *Novum Testamentum* 27 (1985) 76-98.
- Sanders, P.E., *Paul and Palestinian Judaism* (Philadelphia: Fortress Press, 1977).
- Stowers, Stanley, *The Diatribe and Paul's Letter to the Romans* (Chico: Scholars Press, 1981).